وعاد صلاح الدين ليتابع، بعد ذلك، تقدمه شمالاً، ففتح تبنين وصيدا وبيروت، وكان قد أسر صاحب جبيل فساومه هذا الأخير على تسليمه المدينة بلا قتال شرط إطلاق سراحه فكان له ذلك، ودخل صلاح الدين جبيل سلماً، ثم عاد أدراجه جنوباً نحو صور، وكانت منيعة، فجاوزها إلى عسقلان، وكان أخوه الملك العادل قد سار من مصر لملاقاته، كما أسلفنا، فالتقيا على أبواب عسقلان حيث حاصراها. وكانت المدن والقلاع والقرى تسقط بيد صلاح الدين كما تسقط الثمرات اليانعة «ولم ينقض شهر أغسطس/ آب سنة 1187م (583هـ) حتى لم يبق للمسيحيين (الصليبيين) جنوب طرابلس سوى صور وعسقلان وغزة وبضع قلاع معزولة، ثم المدينة المقدسة، بيت المقدس»، وفي 4 أيلول/ سبتمبر من العام نفسه (1187م) سقطت عسقلان، واستسلمت بعدها بأيام حامية حصن غزة[38]. ومن عسقلان حيث أقام، بثَّ صلاح الدين سراياه «في أطراف البلاد المجاورة» ففتحت جيوشه «الرملة والداروم... ومشهد ابراهيم الخليل (عليه السلام) ويُبنى وبيت لحم وبيت جبريل والنطرون وكل ما كان للداوية»[39]. وما فتئت جيوش صلاح الدين أن أضحت على أبواب المدينة المقدسة، العاصمة الروحية للصليبيين، والهدف الرئيسي للقائد المظفر صلاح الدين.

3 ـ التحرير
(الجمعة في 27 رجب 583هـ = 2 ت 1/ اكتوبر 1187م):

تعتبر «حطين» المعركة الحاسمة في تاريخ الحرب الإسلامية ـ الصليبية، إذ «فقدت مملكة بيت المقدس قواتها العسكرية الرئيسية في هذه المعركة» كما «تم تدمير أكبر جيش صليبي أمكن جمعه منذ قيام الكيان الصليبي»، وأضحى القائد المنتصر، في هذه المعركة، على الصليبيين «صاحب السيادة على العالم الإسلامي بأسره»[40].

---

(38) ابن الأثير، م. ن. ص 538 ـ 546.

(39) رنسيمان، المرجع السابق، ج 2: 746 ـ 747، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج 11: 541 ـ 546.

(40) قاسم، المرجع السابق، ص 143.